الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

على هامش الصراحة

الدكتور عبد الجبار عبد الله

■ إحسان شمران الياسري

أتحفتنا صحيفة المدى يوم الخميس ٢٠١١/١/١٣ بملحق ثمين عن أحد رجالات العراق الكبار، وقاماته المديدة، ورمز عزيز من رموز أمتنا التي لا تتكرر إلا بتوفيق من الله.. إنه العلامة الكبير الدكتور (عبد الجبار عبد الله) رحمه الله تعالى.

وكنت سمعت لاول مرة في سبعينات القرن الماضي، حديثاً بين المرحوم والدي وأحد ضيوفه.. كان والدي يعمل في مجلة الثقافة الجديدة، ويكتب في صحيفة التآخي وطريق الشعب والفكر الجديد، وكان صديقه يعمل في إحدى مؤسسات وزارة التربية او التعليم (ولكن ليس في حقل التدريس).. كان الرجل يتحدث عن خبرته الأكاديمية في مجال تخصصه عندما قال والدي بلهجة بين الجد والمزاح، ومعها (غمزة) تعني من بين ما تعنيه (على كيفك عمي!!)..

المهم قال والدي لصاحبه (يعني قابل انت الدكتور عبد الجبار عبد الله؟)، فانتفض الرجل بأقصى قدر من الجدية (لا عمي لا.. بختنه بضبط الله.. شيجيبنه على الدكتور عبد الجبار).. ولأني كنت في الأول المتوسط، لم يلفت نظري الاسم او الدلالة، ولكني تابعت بعد سنوات هذا الإسم، وبدأت أسمع به عندما التحقت بجامعة البصرة، وأحطتُ بجانب من المفاخر التي تنطوي عليها شخصيته الكبيرة، ورفعته، ومكانته العلمية.

وقد تضمن ملحق (المدى) عرضاً واسعاً لمسيرة حياة الرجل وانجازاته العلمية ومساهماته في إغناء الحركة العلمية منذ عام ١٩٣٤ وفترة رئاسته لجامعة بغداد..

ولن اعرض للانجازات والمجد التليد.. ولكني سأستعير بعض مما كتبه الأستاذ (صباح عبد الستار الجنابي) في الملحق تحت عنوان (من شخصيات عهد الزعيم عبد الكريم قاسم)، حيث يشير الكاتب الى ما حدّثه عنه الأستاذ (طالب محمود علي) الذي كان احد المعتقلين بعد انقلاب ٨/شباط الأسود، حيث حُشر في إحدى الزنزانات الصغيرة مع مئات المعتقلين، وكان الدكتور عبد الجبار عبد الله احدهم.

(عرفت الدكتور عبد الجبار عبد الله كأحد المعتقلين في هذه الزنزانة، وكنا في الزنزانة واحداً بجنب الآخر وظهورنا مستندة الى الحائط.. وبهذه الوضعية كنا ننام يوميا ولا مجال للحركة فيها نهائيا. كنت لا أستطيع أن أرفع عيني في مواجهة الدكتور عبد الجبار لما له من مكانة علمية وشهرة عالمية.. وكنت اختلس النظرات وأشاهده يغوص في تفكير عميق ثم تنهمر الدموع من عينيه، في أحد الأيام استغللت فترة إخراجنا لدورة المياه وجلست بجانبه.. ألقيت عليه التحية وعرفته بنفسي وأنا خجل من كل كلمة أتحدث بها إليه، وبعد ان توطدت الصداقة بيننا، سألته يوما عن سبب انهمار الدموع من عينيه.

قال: " كان في قسم الفيزياء الذي أُدرّس به طالب فاشل، حاولت عدة مرات مساعدته لكي يُعدّل من مستواه ولم يتعدل.. ومع ذلك عاونته. في يوم١٤ رمضان ١٩٦٣، جاءت مجموعة من الحرس القومي لاعتقالي من بيتي، ميّزتُ منهم طالبي الفاشل بسهولة. وطلبت منهم إمهالي عدة دقائق لكي أبدل ملابسي وأنا اعرف انه ليس لدي ما أحاسَب عليه.

بدلتُ ملابسي وخرجت لهم، وفجأة ضربني تلميذي (راشدي) قوياً أفقدني توازني، وكدت اسقط على الأرض مع عبارة "اطلع دماغ سز" ولم يكتف تلميذي وهو الآن الحارس القومي بهذا وانما مد يده بجيب سترتي واخذ مني قلم الحبر الذي اعتز به ولم يفارقني أبداً، هذا القلم الحبر هو من الياقوت الأحمر هدية من العلامة المشهور البرت انشتاين، أستَخدمهُ لتوقيع شهادات الدكتوراه فقط، وهذا هو سبب حزني وانهمار دموعي كلما أتذكر هذا الحادث).

انتهى النص.. وإذ استذكر اليوم ما قاله والدي (قابل انت الدكتور عبد الجبار عبد الله)، أقارن هذا القول مع القصة التي يقول فيها أحد العراقيين لعالم كبير (اطلع دماغ سز).. أي دماغ ذلك الذي يحمله الدكتور عبد الجبار ليقول له احد طلبته الفاشلين (اطلع يا عديم الدماغ)..

وهل تتعامل امتنا اليوم مع فرص عزيزة مثل الدكتور عبد الجبار عبد الله بمثل هذا الجحود، حتى لو لم تستخدم (الراشدي)؟

سلام الى مجد العراقيين، ومفخرة الصائبة والمسلمين وباقي زهور العراق ونخيله..

ihsanshamran@yahoo.com

تونس.. هروب رئيس في لحظة تغيير عربية نادرة

متظاهرون أمام دائرة حكومية في العاصمة التونسية .. (ا.ف.ب)

.. وهرب الرئيس بعد خمسة وعشرين عاماً من الدكتاتورية والفساد وحكم العائلة والأقارب والأصهار (عائلة الطرابلسي، زوجة بن علي والماطري).

لم تكن تونس، مثل أي بلد عربي من الأشقاء، مرشحة لثورة شعبية قادتها ووقودها الناس، فالتغيير العربي، تقليدياً، قرين الانقلابات العسكرية التي يطيح فيها الحكام والملوك بعضهم بعضاً، على مدار مرحلة ما سميت بـ(الاستقلال الوطني) وهي المرحلة التي سلم فيها الاستعمار الأجنبي سلطة البلدان المستعمرة إلى العسكر الذين سجلوا صفحات السياسة بتداول السلطة بانقلابات حمر أو بيض، ومن بينها انقلاب زين الدين بن علي الأبيض على سلفه ومربيه وراعيه الحبيب بورقيبة، إذ كان الأول حارس أمنه وحافظ سلطته مخابراتياً.

عواد ناصر

المفارقة الكئيبة هي أن ليس ثمة شعب عربي انتفض على حاكمه وأسقطه وغيّر نظام الحكم، عدا الشعب التونسي، مع أن التكهن بمستقبل البلد من السابق لأوانه، حتى لو اعتبرنا أن حركة شعبية من هذا النوع، كما يجري في تونس اليوم، تؤشر إلى مستقبل جدير بالاهتمام، رغم محاذير من أن الإسلاميين الذين حظرهم بن علي ربما سيقتنصون الفرصة وسط مدّ من إسلام سياسي يجتاح المنطقة، لكن تونس، وبفضل ضارة نافعة، ربما لم تتح للإسلاميين انتعاشاً جماهيرياً بسبب القمع والحظر، وإذا استجاب المعارضون في الخارج لدعوة الغنوشي، الرئيس بالإنابة، فقد تتجه الخريطة السياسية نحو خطوط علمانية ومدنية.

كان العراق، حسب ما يشاع عن عنف شخصية أبنائه، البلد العربي (بالأغلبية) المرشح لقيادة التغيير في المنطقة العربية، منذ ثورة العشرين، لكن الشعب العراقي شعب حزين أكثر مما هو شعب عنيف، رغم غلظة طباعه، فلم يسقط، عبر تاريخه المفعم بالانتفاضات، أياً من حكامه المستبدين، وما حدث فيه هو انقلابات عسكر أيدهم الناس في ما بعد نجاح الحركة (١٤ تموز ١٩٥٨) ليستتبعها مسلسل انقلابات عسكرية لعب الحظ، أكثر من شروط التغيير وضروراته، الدور الأكبر في نجاحها (خصوصاً انقلابي البعث الأول والثاني في ٨ شباط ١٩٦٣ و١٧ تموز ١٩٦٨).

وفي مصر (قلب العروبة النابض) كان انقلاب الضباط بقيادة محمد نجيب ورفاقه يتماشى مع الشخصية المصرية: شخصية السهل الممتنع، إذ ثمة ثورة لا تشبه الثورة، وانقلاب لا يشبه الانقلاب.. ترحيل الملك فاروق بأبهة وسلام ملكي وتوديع رسمي (!) وتشكيل حكومة ثورية ستقود البلاد إلى الكوارث (هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧ من أبرزها)، وبقيت بقية بلداننا العربية متواطئة مع نفسها، شعوباً وحكومات، سواء تلك التي لم تجد غير الفول والمكدوس على مائدتها الفقيرة أو في جنوبها، دول وإمارات غنية بالنفط، ثروة الطبيعة غير العادلة، حيث يعيش الجميع في بحبحوحة الطعام كثير الدسم، الأمير والخفير.

.. والخلاصة، أن لا شعب عربياً، منذ ما سمي بالاستقلال نجح في استبدال أو تبديل أو تعديل حكومته، وسط غياب تام لإرادة الصمود والتصدي بطبعة شعبية، لا حكومية شعارية، وكأن الشخصية العربية غير مؤهلة منذ الولادة لحمل جينات تتولد وتولِّد الإحساس بالحرية، ولعل جينات تقليدية هي العاملة، وحدها، في الدم العربي: العبودية والخنوع.

الأمثولة التونسية، أيّاً كانت آفاق التغيير، تستحق الإعجاب، إذا ما أدركنا أن الناس هم قادة التغيير ومادته وأبطاله وشهداؤه الذين يواصلون ثورتهم الشعبية رافضين الترقيع بتولي رئيس الوزراء محمد الغنوشي، اليد اليمنى للرئيس الهارب، رغم حنكته السياسية والاقتصادية، متمسكين بالتغيير الجذري، هذا إذا لم تحصل مفاجآت سياسية داخلية لم تدخل في حسابات المحللين.

الشعوب وحقّ التغيير

إيمان محسن جاسم

ثورة من نوع خاص، لأول مرة نجد حكومة عربية ترضخ لمطالب الشعب، الرئيس التونسي يقيل حكومته، يحل البرلمان، يقدم وعودا سخية بالإصلاح الديمقراطي، والتظاهرات مستمرة، المواجهات مستمرة، وكل شيء يسير باتجاه التغيير.وأخيرا يرضخ ويتنحى عن السلطة ويختار منفاه.

هل وصلت الشعوب العربية للقناعة بأنها قادرة على التغيير؟ يبدو إن هذه القناعات مترسخة بشكل قوي لدى الشباب التونسي في ثورة الشباب وكأني بالشابي يقول: إذا الشباب يوما أراد الحياة فعلى الدكتاتور أن يغادر .

حقيقة الأمر من السهل جدا إسقاط النظم الفاسدة، وآفة النظام العربي تتمثل في الفساد الذي ينخر جسد الدولة العربية في كل مكان وزمان، وحين يصل هذا الفساد لما وصل إليه في تونس والجزائر يكون أحد أبرز العوامل التي تساهم في إسقاط النظم الحاكمة، لكن المشكلة هنا ليست في النظام الحاكم إذا ما سقط، لكن المشكلة بأننا لا نمتلك مقومات دولة بل كل ما نمتلكه في عالمنا العربي حكومات وأحزابا لها مطلق الحرية في أرضنا، ما في باطن الأرض ملك لهم ومن يمشي على الأرض عبيد لهم، هذه هي صورة النظام العربي منذ قرون عديدة .

وعدم وجود بديل سواء من أحزاب المعارضة أو الحزب الحاكم نفسه مأساة للشعب العربي سواء في تونس أو غيرها، ويكون البديل هو الفوضى، الفوضى التي أحرقت كل شيء بفعل فاعل ويتراءى لي بأن أجهزة النظام وميليشيات الحزب الحاكم هي من قاد الفوضى ونظمتها فأحرقت المستشفيات وفتحت المخازن .

وهذا يقودنا لأن نقف حقيقة أمام شخصية أحزاب المعارضة في عالمنا العربي وما هو دورها وحجم تواجدها وشعبيتها ؟ نعرف في أمريكا مثلا الحزب الديمقراطي يحكم والجمهوري معارض، بريطانيا العمال والمحافظين، فما الذي يمكننا أن نضعه في الكفة الثانية في عالمنا العربي؟ كلا الكفتين يشغلهما الحزب الحاكم في كل بلدان العرب باستثناء لبنان والعراق، فأحزابهما لا يحبان مقاعد المعارضة إلا في الأشهر الأخيرة من عمر الحكومة المنتخبة حين تكون (المعارضة) طريقاً للعودة لمقاعد البرلمان .

لذا أحيانا كثيرة يكون البديل كما في الشأن التونسي هي الفوضى والتخبط ومزيداً من الدماء المراقة، في ظل غياب تام لمشروع دولة قائمة على التعددية والديمقراطية، ربما العرب يتطيرون من الديمقراطية ويجدونها تتناقض وتركيبة الدولة العربية القائمة على البيعة الدائمة والحكم مدى الحياة وغيرها من التسميات التي قادتنا نحن العرب لأن نلخص دولنا في حكامنا ونجد دائماً بأن المواطن الذي ينتقد رئيس الدولة يعدم! ونجد في نهاية كل عام ميلادي تخرج صحفنا لتؤكد بأن الرئيس شخصية العام وابنه أفضل شاب للعام وزوجته (أم المؤمنين) وهلم جرا! كنت أظن في السابق بأننا في العراق فقط كنا نعيش الدكتاتورية بأبشع صورها، لكنني وجدت بأننا ربما تخلصنا منها ولكن لنا أخوة ما زالوا يحلمون بالخلاص ولم يجدوه.

مشكلة النظام السياسي العربي إنه يدار من قبل مافيا تحيط بالرئيس أو الزعيم، شاهدت فليم (طباخ الريس) ومن شاهد هذا الفيلم يكتشف كم هو دور (مافيا الحزب الحاكم) الذين يؤكدون ويقسمون أغلظ الإيمان بأن (طبق الكوشري بنص جنيه) ويباع وفق التسعيرة، والواقع بأن الطبق بسبعة جنيهات!! الغريب إنهم هم من يدير عملية البيع هذه.

سقط بن علي، وسقطت حاشيته، ولكن بقيت تداعيات هذا السقوط، أولها موجة الفوضى والتخريب التي ينفذها بلا شك مأجورون كانوا يعتاشون من النظام، ما أخشاه وما يجب أن يخشاه كل تونسي في الأيام المقبلة أن تدخل القاعدة على الخط فتعيث فسادا في الأرض الخضراء لكي تجعل التوانسة يندمون على التغيير ويقولون (بن علي أفضل وأحسن برشه)، أقول هذا وأنا أجد بوادر تدخلات لأجندات كبيرة قد تنفذ في تونس المحاطة بدول هي الأخرى شمولية حد النخاع.

دول قد تسعى لمقاومة التغيير الشعبي في تونس، نعم هو تغيير شعبي ولم يكن نتيجة تدخل خارجي بالتالي فمشروعية التغيير متوفرة طالما إنها إرادة شعبية، ومع هذا هنالك مؤشرات كثيرة تجعل البعض يتطير من هذا التغيير الذي ربما بل الأكيد سيفتح شهية الشعوب العربية لممارسة حقها ليس في الحياة بل في التغيير.

من يصنع البطانة السيئة؟

حسين علي الحمداني

هل يمكن تضليل الرئيس؟ وكيف يضلل الرؤساء في العالم ولماذا؟ ومن يمارس هذا الدور عادة؟ من استمع لخطاب او كلمة الرئيس التونسي زين العابدين بن علي الذي استولى على مقاليد السلطة عام ١٩٨٧ بعد تنحية بورقيبة في حركة سميت في حينه (إصلاحية)، من استمع للرئيس التونسي وهو يلقي باللوم على البطانة السيئة التي كانت تقف وراء أسباب إخفاء المعلومات الصحيحة وعدم إعطاء الصورة الدقيقة عن أوضاع البلد المعيشية وأحوال حياة المواطن التونسي، من استمع لهذا يجد نقاطاً عدة منها؛هذا الاعتراف يصدر لأول مرة من زعيم عربي وهو ما زال في قمة السلطة، ويبدو بأنه يمثل حالة استدراك للنظام السياسي العربي الذي عليه أن يضع الرجل المناسب في المكان المناسب وقبل هذا عليه أن يمنح المسؤولين مهما كانت درجتهم ومنصبهم الثقة وعدم الخوف من قول الحقيقة مهما كانت مؤلمة .

الشيء الثاني، يتمثل بالابتعاد ولو قليلا عن مفهوم (نظرية المؤامرة) التي ترسخت في العقلية العربية القومية، الشيء الثالث وهو الأهم بل الأكثر أهمية يكمن في اعتراف الرئيس بالفشل وعدم وجود أيد خفية حركت الشارع التونسي سواء أكانت هذه الأيدي متطرفة أم معتدلة، ليبرالية أم إسلامية، وبالتالي تمثل حالة علينا أن نتوقف عندها كثيرا لنرى كيف تدار الدول في عالمنا العربي.

تذكرت ما كان يعيشه المسؤولون العراقيون أبان حكم الدكتاتور صدام للعراق، إنهم كانوا يكذبون وبقوة من أجل إرضاء (القائد) وضمان عدم غضبه، ينقل لي أحد الضباط عام ٢٠٠٠ بأنهم أجروا تجربة لاختبار أحد الأسلحة التقليدية وقد فشلت التجربة، ولكن طلب منهم من قبل مقربين من (الرئيس) بأن يقولوا بأن التجربة ناجحة ١٠٠٪ ويعظموا من شأنها !! والحالة الثانية وهي الأكثر خطورة حيث يؤكد بعض العاملين في الميدان التربوي بأنهم كانوا يرفعون أعداد المتسربين من مدارسهم وبدلاً من متابعة ذلك يتم استدعاء هؤلاء المربين والمشرفين ويطلب منهم إعطاء موقف بعدم وجود متسربين من المدارس!! منطق غريب جدا في دفن الحقائق وترك حالات الفشل دون معالجات لتتراكم بحيث يصعب حلها، ويبدو هنا إن ثمة مصالح لهذه البطانة تقتضي أحيانا أن تحول الفشل إلى نجاح لكي تبقى تمارس دورها (كبطانة) مقربة من أصحاب القرار خاصة إذا ما كان الفشل في تجربة ما يطيح بها خارج مكاتبها على أقل تقدير، وعلى ما يبدو هذا هو نهج الكثير من النظم السياسية في منطقتنا العربية التي عادة ما تضع المستشارين في حالة من اللا مسؤولية عبر عدم إعطائهم فرصة تقدير تقارير صحيحة وواقعية مع إيجاد الحلول المناسبة لها.

وصحة التقارير ودقتها تجعلان أية حكومة في أية دولة قادرة على إيجاد الحلول والمعالجات بصورة هي الأخرى صحيحة ودقيقة وعدم ترحيلها للسنوات الماضية، فعلى سبيل المثال يمكن لأية دولة أن تقضي على البطالة أو تخفف من نسبتها عبر معالجات سنوية واستحداث وظائف عامة في ميادين متعددة كالصحة والتعليم والخدمات وغيرها.

نحن في العراق ظهرت لدينا الآن إحصائيات دقيقة أو قريبة جداً من الدقة، بينما هذه الأرقام كانت مختفية في حقبة النظام السابق، فمثلا لا أحد يعرف نسبة الأمية في العراق قبل ٢٠٠٣، ولا أحد يعرف نسبة الفقراء أو الذين يعيشون تحت خط الفقر قبل ٢٠٠٣، وبالتالي لا أحد يعرف حجم البطالة في ذلك الوقت،لكن اليوم نجد بأن هذه الأرقام والإحصائيات موجودة في وسائل الإعلام والوثائق الرسمية، وهنالك معالجات كبيرة لها في حدود الإمكانات المتاحة للدولة العراقية أو منظمات المجتمع المدني كلاً حسب اختصاصه، ومع هذا فإننا في العراق نعيش الآن فترة معالجات أخطاء وتراكمات الماضي، الماضي الذي لم يكن سوى حفنة من (البطانة السيئة) كانت تصور العراقي على أنه مترف ويعيش بأمان ويأكل (الحصة التموينية) ولا يتذمر وإلى آخر التقارير التي كانت ترفعها (البطانة السيئة) لتنال رضا (الريس) وعدم غضبه.

ما نريد أن نقوله بأن (البطانة السيئة) كثيرا ما تصنع زعامات مشوشة غير عارفة بمجريات الأمور، وغير مدركة لعواقب تغييب المعلومات عن مصادر القرار خاصة في النظم المبنية على أسس مخابراتية بوليسية استبدادية غايتها الأولى والأخيرة المحافظة على بقاء النظام.

اعتراف الرئيس التونسي بالتأكيد لا يعفيه من المسؤولية خاصة وانه من اختار هذه (البطانة السيئة) ودعمها كل السنوات الماضية، وبالتالي فإن المطلوب من النظم السياسية العربية خاصة إعادة النظر بهيكلية ومفاصل الدولة خاصة الحزبية منها وعدم السماح للحزب الحاكم والعائلة الحاكمة أن تلتهمها الدولة ومؤسساتها وتحولها بشكل أو بآخر إلى تابع للحزب أو العائلة الحاكمة، بل إعطاء دور مهم للمستشارين ومنحهم الثقة والاستماع لآرائهم التي هي عادة ما تكون قريبة جدا من الواقع خاصة حين يتم طرحها في لحظتها وليست بصيغة تراكمية بحيث يصعب حلها.

البطانة السيئة قد يكون دورها أكثر من حجب الحقائق، ويتعداها لتزوير الانتخابات، رمي التهم على أبرياء، وغيرها من الممارسات التي كانت موجودة في العراق قبل ٢٠٠٣ وما زال بعضها موجودا في هذا المفصل أو ذاك بحكم التنشئة الإدارية لبعض الكوادر في هذه الوزارة او تلك. لذا علينا أن نأخذ العبر وأن نعالج (بطانتنا) التي قد تكون هي الأخرى سيئة وتمارس دورها في تضليل أصحاب القرار.

فوضى في الشوارع .. (ا.ف.ب)